المحاضرة السادسة: الملاحظــة العلميــة

2- الملاحظة العلمية:

تختلف الملاحظة العلمية عن الملاحظة العادية في أنها تتم وفقا لأسس علمية متعارف عليها وتتبع خطوات محددة، وتعني متابعة سلوك معين بهدف تسجيل البيانات بغرض استخدامها في تفسير وتحليل مسببات وآثار ذلك السلوك.

والملاحظة العلمية هي تلك التي يقوم فيها العقل بدور كبير من خلال ملاحظة الظواهر وتفسيرها وإيجاد ما بينها من علاقات ولهذا فهي وسيلة هامة من وسائل جمع البيانات، تسهم إسهاما كبيرا في البحوث الوصفية والكشفية والتجريبية.

والملاحظة عبارة عن تبادل وتفاعل المعلومات بين شخصين أو أكثر، أحدهما الباحث، والآخر المستجيب أو المبحوث، لجمع معلومات محددة حول موضوع معين، ويلاحظ الباحث أثناءها ردود فعل المبحوث.

كما أن الملاحظة كأسلوب للبحث، يجب أن تكون منظمة وأن تسجل بدقة وحرص، شأنها في ذلك شأن أساليب البحث الأخرى التي يجب أن تخضع للضبط العلمي كالدقة والصحة والثقة. بالإضافة إلى أنها بوصفها نشاطا للبحث الوصفي لها نفس الفائدة التي تمتاز بها معظم الدراسات الوصفية، أي أنها تمدنا بالمعلومات التي تساعد على صياغة فرضيات تفسيرية.

ولكي تكون الملاحظة علمية لابد أن تتوافر فيها النقاط الآتية:

- تحديد هدف الملاحظة ومجالها ومكانها وزمانها.
- إعداد بطاقة الملاحظة ليسجل عليها المعلومات التي يتم جمعها بالملاحظة.
- التأكد من صدق الملاحظة عن طريق إعادتها لأكثر من مرة أو المقارنة بملاحظة أخرى.

2-1- خطوات الملاحظة العلمية:

- تحديد الهدف من الملاحظة.
- تحديد مجتمع الدراسة الذي ستتم ملاحظته .
- محاولة الدخول في مجتمع الدراسة دون ملاحظة أفراد المجتمع، إن أمكن.
- إجراء الدراسة عن طريق مراقبة الأفراد وملاحظة تصرفاتهم، وتدوين الملاحظات خلال فترة الدراسة، حتى ولو استمرت لأشهر أو سنوات.
- حل المشكلات التي قد تطرأ على الباحث، وخاصة إذا عرفت الجماعة أنه يراقبهم.

- الخروج بحذر من مجتمع الدراسة دون ملاحظة الآخرين.
- تحليل البيانات التي تم جمعها، والخروج بالنتائج وكتابة التقرير.
- تسجيل ما يتم ملاحظته مباشرة.

2-2- أنواع الملاحظة:

تصنف الملاحظات وفق درجة التصنيف إلى:

أ- **الملاحظة البسيطة:** تستخدم في الدراسات الاستكشافية، حيث يلاحظ الباحث ظاهرة أو حالة، دون أن يكون لديهم خطط مسبقة، لنوعية المعلومات أو الأهداف، أو السلوك الذي سيخضعه للملاحظة.

ب- **الملاحظة المنظمة:** ويحدد فيها الباحث الحوادث والمشاهدات والسلوكيات، التي يريد أن يجمع عنها المعلومات وبالتالي تكون المعلومات أكثر دقة وتحديدا، عنها في الملاحظة البسيطة. وتستخدم الملاحظة المنظمة في الدراسات الوصفية بكافة أنواعها.

كما تقسم الملاحظة من حيث دور الباحث إلى:

ج- الملاحظة المشاركة:

وفيها يكون للباحث دور إيجابي وفعال، بمعنى أنه يقوم بنفس الدور، ويشارك أفراد الدراسة في سلوكياتهم وممارساتهم المراد دراستها. ولملاحظة المشاركة إيجابيات كثيرة ولها سلبيات ومخاطر، وبخاصة عند ما تعرف عينة الدراسة، أن الباحث يجري دراسة عنها، حيث يتغير سلوكها غالباً.

د- الملاحظة الغير مشاركة:

وفيها يقوم الباحث بأخذ موقف أو مكان، ويراقب منه الأحداث أو الظاهرة أو السلوك، دون أن يشارك أفراد عينة الدراسة بالأدوار التي يقومون بها. وقد يستخدم الكاميرا وخاصة (الفيديو) في هذا النوع من الملاحظات شريطة عدم معرفة المبحوثين بذلك.

2-3- إيجابيات الملاحظة:

- قد تكون الملاحظة أفضل وسيلة لجمع المعلومات حول كثير من الظواهر والحوادث، كالظواهر الطبيعية والدراسات المتعلقة بالحيوانات.
- تسجل الملاحظة الحادثة والتصرفات والسلوكيات في وضعها الطبيعي، وفي وقت حدوثها، وخاصة إذا لم يشعر المبحوثون بأن الباحث يلاحظهم.
- تسمح بالتعرف على بعض الأمور، التي قد لا يكون الباحث قد فكر بأهميتها.
- يجمع الباحث معلوماته عن الظاهرة في ظروفها الطبيعية، مما يزيد من دقة المعلومات.

- يمكن إجراء الملاحظة على عدد قليل من المفحوصين، وليس من الضروري أن يكون حجم العينة التي يتم ملاحظتها كبيرا.
- يتم تسجيل السلوك الذي يلاحظ مباشرة أثناء الملاحظة، مما يضمن دقة التسجيل، وبالتالي دقة المعلومات.
- توفر معلومات عن السلوك الملاحظ في أوضاع واقعية.
- إمكانية استخدامها في مواقف مختلفة، ولمراحل عمرية متباينة.
- توفر قدرة تنبؤية عالية نسبيا، وذلك للتشابه النسبي لظروف السلوك الملاحظ، مع السلوك المتوقع.
- توفر الملاحظة للبيانات أو للمعلومات كمية ونوعية.
- تنفرد في الحصول على معلومات، لا يمكن توفيرها بطريقة أخرى، كما هو الحال في البحوث الميدانية.

2-4- سلبيات الملاحظة:

- قد تستغرق وقتا وجهدا وتكلفة مرتفعة في بعض الأحيان، وخاصة إذا تطلب الأمر ملاحظة الظاهرة، لفترات زمنية طويلة وفي ظروف صعبة.
- قد يتعرض الباحث للخطر في بعض الأحيان، كما هو الحال في ملاحظة بعض الظواهر الطبيعية أو الأفراد العدوانيين وغير ذلك.
- التحيز من قبل الباحث في بعض الأحيان، وخاصة عند تأثره بالظاهرة التي يلاحظها، والتحيز من قبل المبحوثين عند إدراكهم أنهم يخضعون للملاحظة.
- يغير الأشخاص الذين تتم ملاحظة سلوكياتهم، ولا يظهرون سلوكيات حقيقية.
- هناك بعض القضايا والمشكلات والسلوكيات الخاصة بالأفراد، والتي من الصعب أحيانا من المستحيل ملاحظتها، كالعلاقة بين الزوجين مثلا.
- تتطلب الملاحظة وقتا طويلا، وقد ينتظر الباحث أياما أو أشهرا أو سنوات، الظاهرة التي يرغب في ملاحظتها.
- قد تتأثر الملاحظة بعوامل وقتية تؤثر على نجاحها ودقة معلوماتها.